

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة المائة

## البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

لا شك أن لأهل العلم والتقوى أموراً يتميزون بها عن غيرهم ، ومما يتميز به البخاري (رحمه الله) يقول الحسين بن محمد السمرقندي: كان محمد بن إسماعيل مخصوصاً بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة، كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس كل شغله كان في العلم.

هذه الخصال من مكارم الأخلاق التي لا بد للمسلم أن يحرص عليها وبخاصة طلبية من الشباب ، فقلة الكلام يسلم فيه الإنسان من عثرات اللسان ، وهو عمل بوصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

وعدم الطمع فيما عند النفس يدل على القناعة كما أنه يورث محبة الناس للإنسان، وصاحب العلم لا بد أن يكون محبوباً ليقبل الناس كلامه ويستفيدوا من علمه .

كما أن الاشتغال بالعلم وتفريغ الإنسان نفسه من أشغال الناس التي لا تعود عليه ولا على الناس بالفائدة من خصائص طالب العمل الحريص على وقته .

وقد كانت تلك المزايا مع مزايا أخرى عديدة تميز بها البخاري (رحمه الله) وقد عملنا مكانته ودرجته في العلم والتقوى، نسأل الله سبحانه وتعالى لشباب المسلمين العلم النافع والعمل الصالح .

كما نود أن نضيف إلى ما مضى من الخصال الحميدة للإمام البخاري أنه كان يعلم الناس احتساباً للأجر لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً ، قال محمد بن أبي حاتم سمعت سُلَيْم بن مجاهد يقول : ( ما بقي أحد يعلم الناس الحديث حسبة غير محمد بن إسماعيل ورأيت سليم بن مجاهد يسأل أبا عبد الله أن يحدثه كل يوم بثلاثة أحاديث ويبين له معانيها وتفاسيرها وعللها فأجابه إلى ذلك قدر مقامه ) .

نعم هكذا كانت حال محمد بن إسماعيل (رحمه الله) يبذل العلم ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ، لا يتغني به مالاً ، ولا منصباً ، ولا عرضاً من أعراض الدنيا . فدل ذلك على ورعه وتقواه ، يقول محمد بن أبي حاتم سمعت سليماً يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل .

ويقول عبد المجيد بن إبراهيم ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يسوي بين القوي والضعيف .

هكذا يجب أن يكون أهل العلم من المسلمين يعلمون ما عندهم من العلم لإخوانهم ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ، مع اتصافهم بالتقوى والورع، فإنها من ثمار العلم النافع.

وإذا تأملنا في نظام الحياة في هذا الزمان فإن كثيراً من الوظائف التعليمية التي يبذل فيها العلم الشرعي بمقابل مرتب شهري فلا حرج — إن شاء الله — على أهل العلم أن يكسبوا رزقهم بهذه المهمة، ولكن مع إخلاصهم في ذلك وحرصهم على أداء واجبهم وابتغاء مرضاة الله .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، مع مزية أخرى من مزايا ذلك الإمام الجليل محمد بن إسماعيل ، مع كرمه وسماحته (رحمه الله) قال محمد بن أبي حاتم كانت له قطعة أرض يكرها كل سنة بسبع مائة درهم فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله

قثاة أو قثاتين لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثاء النضيج وكان يؤثره على البطيخ أحياناً فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمه القثاء إليه أحياناً .

قال وسمعتة يقول كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم فأنفقت كل ذلك في طلب العلم، فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلوا من المال فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له. فقال أبو عبد الله (ما عند الله خير وأبقى) [الشورى ٣٦].

قول ابن أبي حاتم هذا فيه إشارة إلى صنف من أهل العلم كانوا لا مال لهم ، ولكنهم طلبوا المال بالعمل حتى اجتمع لهم المال الكثير ، أما حال محمد بن إسماعيل فهي خلاف ذلك (رحمه الله) فإنه يطلب العلم بالمال ، فهو كما سمعنا يكسب المال فيفقه في طلب العلم ، فأين هو من ذلك الصنف .

وفي هذا الزمان فإنه اجتمع للناس مال ما لم يكن عندهم من قبل فحري بمن يحرص على العلم أن لا ييخل على العلم ببذل المال في شراء الكتب أو ما استجد من الوسائل كأقراص الحاسب ، أو كذلك الرحلات العلمية ، أو الإنفاق على البحوث ، ونحو ذلك مما يكون سبباً في الحصول على العلم النافع .

قال محمد بن أبي حاتم يحكي بعضاً من صفات هذا الإمام : وكنا بفربر وكان أبو عبد الله يبي رباطاً مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول له إنك تكفى يا أبا عبد الله فيقول هذا الذي ينفعنا ثم أخذ ينقل الزنبرات (وهي الزناويل) معه وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس إلى الطعام وكان بها مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم أنه يجتمع ما اجتمع، وكنا أخرجنا معه من فربر خبزاً بثلاثة دراهم أو أقل فألقينا بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة .

قال وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار فلا يأكل فيه رقاقة إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره فقال لي يوماً شبه المتفرج بصاحبه يا أبا جعفر نحتاج في السنة إلى شيء كثير قلت له قدركم قال أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم أو خمسة آلاف درهم قال وكان يتصدق بالكثير يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين وأقل وأكثر من غير أن يشعر

بذلك أحد وكان لا يفارقه كيسه، ورأيته ناول رجلا مرارا صرة فيها ثلاث مائة درهم وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد .

هكذا كان البخاري (رحمه الله) مع بذله العلم للناس فهو أيضاً يبذل لهم المال ، فقد كان (رحمه الله) ينفعهم في دينهم ودنياهم فمن من الناس تجتمع فيه هذه الخصال .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .